«نيتوتشكا» لدوستويفسكي
نفسيّات نموذجيّة

بقلم عبد الله عبد الدائم

رواية «نيتوتشكا» * تكاد تكون رواية نفسية خالصة. وهي بهـذا من اجدر روايات دوستويفسكي بالدراسة النفسية. على ان دوستويفسكي كان في رواياته جميعها عالماً نفسياً من الطراز الاول؛ واقوى ما تمتاز به رواياته ذلك الغوص في اعماق النفس الانسانية وذلك النوع من التقصّي المغرق والسبر الممحّص الفاحص لدقائق الحيـاة النفسية وخفاياها، بل ذلك التضخيم لخواطر النفس البشرية ونزواتها واحلامها. حتى يخيّل الى قارئه امام هذا العدْو وراء حركات النفوس وهبوات العقول والقلوب، ان دوستويفسكي لا يبغي من وراء رواياته ان يصف واقعاً إنسانياً حقيقياً، بمقدار ما يريد ان يضخم بعض جوانب حياة الانسان الواقعية ليرينـا إياها ضمن مجهار مكبر وليطلعنا على التيارات الموجهة للانسان، ولكن بعد ان يكبرها ويتجاوز بها مقاييسها الواقعية الطبيعية. ومن هنا يأتي هذا الشعور المزدوج الذي يراود القارىء امـام رواياته: إذ يشعر ان الشخصيات التي يصفها لنا قريبة منه وبعيدة عنه في آن واحد. إنها بعيدة عنه لانها شخصيات «نموذجية»، بمعنى ان صفاتها وخصائصها النفسية خصائص مضخمة، في حجم مكبر مغالى فيه. وهي قريبة منه، لأنها بضخامتها، تعرض امامه واضحاً ما يجد بذوراً له في نفسه وفي نفس كل إنسان وتمكنه من توضيح ما يتحسس به تحسساً غامضاً.

ولكن اكثر روايات دوستويفسكي لا تخلو من موضوع ذي حوادث وحبكة واقعية اجتماعية، يكوّن المناسبة التي يعرض عن طريقها لتحليل النفوس وتشريح الناس. اما رواية «نيتوتشكا» فالحوادث فيها هي التي تعرض بالمناسبة والفرص. اما الحبكة الحقيقية والعقدة الاصيله فتنثوي في الامزجة النفسية التي يتصف بها اشخاص الرواية. ولعلنا لا نبقي في الرواية شيئاً كثيراً إذا نحن جرّدناها من الجانب النفسي المعني بوصف خواطر النفوس وتموّجاتها. ولهذا كان في وسع المرء، اذا اراد ان يضرب صفحاً عن هذه الخواطر، ان يلخص الرواية كلها التي تتجاوز مائتي صفحة من القطع الكبير (في الترجمة العربيـة) في بضعة اسطر.

إنها رواية تتحدث عن حياة فتاة هي نيتوتشكا، عاشت في اسرة بائسة تضم امها وزوج امها. وما لبثت حتى فقدتها كليهما بسبب شذوذ زوج امها، هذا الشذوذ الصادر عن موهبة موسيقية مخفقة، ورغبة في التعويض عن هذا الاخفاق عن طريق الادعاء والتبجح والكبرياء. فعاشت الفتاة بعد ذلك يتيمة في اسرة امير تعهّد تربيتها وحدب عليها، وخُلقت بينها وبـين ابنة الامير «كاتيا» عواطف حب عميق، لم يعمر طويلاً إذ سافرت ابنـة الامير مع سائر الأسرة الى موسكو ومكثت هنـالك ثماني سنوات؛ وانتقلت نيتوتشكا الى اسرة جديدة اخرى هي اسرة ابنة الامير الكبرى «الكسندرين» المتزوجة من رجل غني. وكان بينها وبين ربة البيت (ابنة الامير الكبرى هذه) تعاطف قوي، يرافقه كره لزوجها قوّت منه الرسالة التي عثرت عليها نيتوتشكا صدفة في احدى خزائن الكتب والتي كانت رسالة وداع أخيرة يوجهها الى ابنة الامير الكبرى عاشقهـا القديم اليائس. وما لبث هذا الكره ان انقلب الى عـداوة ظاهرة والى اصطدام عنيف بـين الفتاة والزوج، يوم وقع الزوج في يد الفتاة على الرسالة المذكورة، وحسبها حين اختلس قراءة مطلعها رسالة غرام من احـد عشاق الفتاة. ولم تشأ نيتوتشكا ان تعلن حقيقـة الأمر حفظاً لعواطف الزوجـة وكتما للسر، واحتملت التهمة صابرة. غير ان الزوج أبى إلا ان يصرح لزوجته بأمر الرسـالة، متهماً نيتوتشكا باختلاس لبانات الغرام سراً، مما سبب لهذه الزوجة ذات الجسم الهزيل المريض أزمة عصبية عنيفـة، عنـد ذلك قدمت نيتوتشكا الرسالة الى الزوج وأطلعته على حقيقتها.

ولا أحسب القارىء يجد في هذه القصة، ملخصة على هـذا النحو، مجردة من إهابها النفسي، ما يغري ومـا يسترعي

* نقلها الى العربية الاستاذ سامي الدروبي ونشرتها دار اليقظة في دمشق.

الاهتمام . بل إخاله يتهمها بفقر في الحوادث وضعف في الحبكة غير انه اذا قرأ الرواية بكاملها جذبه لا محالة جوها النفسي الثر، واستحوذ عليه ما فيها من حركة نفسية مضطرمة فوّارة ، حتى ليشق عليه ان يدع الرواية ، اذا بدأهـــا ، دون ان يأتي عليها جميعها .

لهذا كانت هذه الرواية مرتعاً خصباً للدراسة النفسية ولعلماء النفس . انها واحدة من تلك الروايات الجبارة التي ينهل منهـا علماء النفس الأمثلة التي توضح نظرياتهم واقوالهم . انها لفتة من لفتات اولئك الكتاب العباقرة الذين يصلون عن طريق حدسهم الصائب ونظرتهم النفاذة ، الى عرض مجموعة الحقائق عن النفس الانسانية ، في كثير من العفوية والبساطة ، لا يصل الباحثون النفسيون الى تقرير مثلها الا بعد كدّ وتخبط وعرق ولهاث . انها واحدة من تلك الأقاصيص الرائعة التي تؤلف كتاباً قيما في علم النفس ، دون ان تحاول ابداً تطبيق افكار في علم النفس مبيتة ، بل ان علم النفس هو الذي يجرب ان ينبش ما فيها من حقائق تصدّق ما يخبر عنه هو ، وان يلتمس فيها تأييداً لنظرياته. كذلك الحياة ، وكذلك كل شيء حي اصيـل : يجري سهلاً يسيراً في غير ما عنت ، فيكشف بمجرد انطلاقه وسيلانه ، عن امور وحقائق لا تيسّر لمن يستوقف هذا التيار الحي ليدرسه الا بعد عناء وكلفة ولف ودوران .

وبعد ، ما هي هذه الحقائق النفسية التي نجـدها في رواية « نيتوتشكا » اصيلة صافية ؟

اول ما يثير الاهتمام في هذه الرواية شخصية « يافيموف » زوج ام نيتوتشكا الموسيقار المخفق. انه صورة حية، ولكنها مجسمة ، لأولئك الاشخاص الذين نقـع عليهم في كل مجتمع ، والذين يعيشون على ما يدعى باشباح العبقرية . انهم يتخيلون انهم عباقرة ، ولكن الأيام ما تلبث ان تكذب خيالهم ، اذ لا يصيبون من التفوق ولا يأتون من النتاج ما يثبت هذه العبقرية، غير ان خيالهم يظل قوياً ويظل يدافع ويقاوم ويتجاهل الحقيقة الصارخة ، إبقاء على حياتهم ودفاعاً عن كيانهم . فلا يعترفون لأنفسهم او لغيرهم باخفاقهم ، إذ لو اعترفوا لأصبحت حيـاتهم جحيما لا يطاق ، بل لتحطمت . ويلتمسون لاخفاقهم المبررات الخارجة عنهم، فيلقون سبب فشلهم على كل شيء ما عدا مواهبهم الضعيفة . يلقونه على الناس الذين لا يستطيعون فهمهم وإدراك عبقريتهم « العميقة» ! يلقونه على ظروف حياتهم المادية القاسية، يلقونه على زوجاتهم التي تحول بينهم وبين الابداع ، في زعمهم. ويكون من نتيجة هذا كله ان يسلكوا سلوكاً متعالياً ، فيه ازدراء لكل انسان (وهو في الواقـع ازدراء لذواتهم) ، وفيه حملة على كل متفوق ، يدركون لاشعورياً انه فوقهـم ، وانتقاص من قدر كل قدير .

إنهم يخافون ان يُفتضح ضعفهم وعجزهم امـــام انفسهم ، ويخافون ان يفضح هذا الضعف المتفوقون من الناس، ولهذا لا يقرّ لهم قرار ما لم يحطموا هؤلاء المتفوقين بنقـــدهم ، وما لم يجدوا لديهم نقائص وثغرات ، هي طبعاً من صنع خيـــالهم المتوقد المغتاظ، وإن لم يكن في ايجادها في كثير من الاحيان براعة وذكاء . ولكنهم طبعاً لا يدركون هذا كله، ولا يعرفون حقيقة دوافعهم ؛ لهذا يتساءلون عن سلوكهم دوماً ويعجبون منه ، ولهذا كانوا دوماً من التعساء والاشقياء الذين يستدرون الشفقة بل المحبة ، لا الكره والمقاومة .

هكذا نجد « يافيموف » يصطدم مع الناس دوماً ومع اعز اصدقائه واصدق المحسنين اليه اصطداماً لا يفسره الا هذا القلق الذي يعيش فيه ، والصادر عن كبرياء لديه تغذيها عقدة نقص لا يشعر بها . انه يريد في كل لحظة ان يثبت انه شيء وانه ذو شأن وانه ذو عبقرية فذة ، غير انه إذ يعجز عن ان يثبت ذلك اثباتاً واقعياً عن طريق ابداع فني ظاهر واضح ، لا يجد مخرجاً إلا في ان يثبته عن طريق اتهام الناس والعداء والخصام وادعـــاء التفوق . ولهذا ينأى عن صحبته كل من يدرك لا شعورياً انه يفوقه ، ويود ان يظل دوماً في صحبة الضعفاء . انه يفضـل ان ينخرط في « جوقة حقيرة لمسرح متجول » (ص ١١) ، حيث يطفو على المواهب الضعيفة فيها ، على ان يعمل في جوقة محترمة تفضح ضعفه . انه يموت ، يموت حقاً ، عندما يسمع العـازف الشهير على الكمان « س » فيشعر لدى سماعه شعوراً لا وسيلة الى اخفائه وتغطيته. انه لا يملك اي موهبة . « إن وصول كل عازف على الكمان جديد ، كل موسيقي شهير ، كان يولد فيـه شعوراً مؤلماً » (ص ٥٧) ، ثم لا يجد الراحة والطمأنينـة الا حين يستطيـع ان يأخذ على عزفه عيباً من العيوب ، فـاذا هو يذيع رأيه فيـــه ، أينما استطاع ذلك ، في سخر مر لاذع » . لقد كان لا يرى في الدنيا الا فناناً واحداً هو شخصه . ولقـد

— التتمة على الصفحة ٧٢ —

نفسيات نموذجية

— البقية من الصفحة ٢٤ —

ظل « خلال سبع سنين طوال يجتر احلام مجده المقبل دون ان يشعر انه كان يفقد المباديء الاولية في الموسيقى» (ص ١٣) . و« كان يريد ان يصبح احد اوائل العازفين على الكمان في العالم. وكان يعد نفسه من ذلك الحين عبقرياً من هذا الطراز » (الصفحة نفسها) . ان كبرياءه قوية ولكنه لا يجرؤ على تحقيق شيء ولا يستطيع تحقيق شيء، خوفاً من ان يفتضح امره امام نفسه . غير انه يساوره في بعض الاحيان ومضات من الشك في عبقريته ، فيعلن مثلاً انه لا يملك اية موهبة (ص ١٧) . ولكنه ما يلبث ان يطرد هذا الشك سريعاً سريعاً ، منتحلاً لنفسه الاعذار ، مبرراً عجزه الظاهر : فأين من الناس من يفهم الموسيقى حتى يحكم عليه ؟ (ص ٢٢) . وهل يستطيع ان ينتج من كان في مثل ظروفه المادية القاسية؟ وأنّى له الخلق الموسيقي وزوجته تثقله باعباء الاسرة؟ وكم كان سروره كبيراً عندما اهتدى الى هذه الحجة العبقرية ، بعد ان تزوج . لقد وجد في هذه الحجة ترويحاً وعزاءً كبيراً. انه ألقى المسؤولية كلها على زوجته ، واعلن انها السبب في انهياره وانها قتلت موهبته . وراق له « ان يتعلل من فشله بهذه الحجة ، وطفق يعلن لكل من يلقاه ان زواجه قد قتل مواهبه ، وانه يستحيل عليه ان يعمل في غرفة خانقة، ومن حوله اسرة جائعة» (ص ٢٣) . « ولعله اشتهى هو نفسه الى تصديق شكاواه، فلقد كانت هذه الحجة الجديدة تغريه ايما اغراء » (الصفحة نفسها) . فموهبته الشقية ، موهبته المتعطلة ، كانت تبحث على غير شعور منه عن علة خارجية تلقي عليها تبعة كل ما تلقاه من اخفاق وكل ما تعانيه من بؤس » (الصفحة نفسها) . ونحب ان نستوقف القاريء هنا قليلاً فنذكره بفكرة الاسقاط (projection) التي أتى بها « فرويد Freud » وأخذها العلماء من بعده ، والتي تعني ان يلقي الانسان على الاشياء ما يجده في نفسه، وان ينسب الى غيره ما فيه . كما نذكره بآلية الدفاع عن النفس mécanisme) (de défense وكيف تبرىء ذاتها بان تنسب عجزها الى غيرها. وبمنطق العواطف الذي يجعل الانسان يُصدق كل ما يريد ان يصدقه وما يرغب في تصديقه ، وبفكرة التعويض « الآدلرية » التي هي نتيجة طبيعية لمركب النقص ... فكل هذا، وكثيراً غيره ، نجده في شخصية « يافيموف » .

لقد كانت حاجة « يافيموف » الى زوجته شديدة ، إذ كان وجودها ضرورياً ما دام « حجة يتعلل بها من فشله » (ص ٢٤) وكان يجد لذة في تعذيبها . إذ هذا التعذيب في الواقع انتقام لنفسه من نفسه، وتشفٍ من ضعفه وفشله الذي القاه على زوجته.

وليست هذه الحجج كلها الحجج الوحيدة التي يلجأ اليها لتغطية عقدة نقصه . بل يلجأ الى مبرر آخر ، هو مبرر معروف شائع لدى جميع من يشكون مركب نقص ، أعني به اعتقاده بانه « مضطهَد مهان وانه ضحية انواع شتى من المؤامرات وان الناس لا يفهمونه » (ص ٢٨) . ذلك ان الشعور بالاضطهاد او «هذيان الاضطهاد» كما يقول علماء النفس ، هو ظاهرة طبيعية وقدر محتوم لدى من يشكون عقدة نقص . وهناك ، كما يقول دوستويفسكي امتع قول « اناس يحبون ان يعتقدوا انهم مضطهَدون مهانون حتى يستطيعوا ان يتفجعوا جهاراً وان يتأسّوا في سرهم بعبادة عبقريتهم المجهولة » (الصفحة نفسها) .

ولقي « يافيموف » حتفه كما ذكرنا ، بسبب هذه الآفة النفسية . ولقيت زوجته حتفها ايضاً لعنف الصدمات التي لقيتها من سلوك زوجها . ولكنها تركا « نينوتشكا » . وهي الشخصية الثانية في الرواية التي تستحق ان تنالها بالدراسة والتحليل . غير ان دراستها النفسية اعوص بكثير من دراسة شخصية «يافيموف» فالآلية النفسية التي سيّرت حياة هذا الفنان آلية بسيطة ، ومفتاحها النفسي سهل المنال ، لا يتجاوز اكتشاف عقدة النقص لديه . أما نفس «نينوتشكا» وخواطرها ومراحل حياتها النفسية فعصيّة على القاريء العادي. ان هذه النفس ابنة البيئة التي عاشت فيها : ابنة امها وزوج امها (ولندعه منذ الآن أباها) . لقد عاشت في بيئة شاذة مضطربة، وشهدت في ابيها ثورات ونزوات قمينة بان ترهف الاعصاب الى حد المرض ، إن لم ترهقها. فكان طبيعياً ان تصرح منذ البداية ان أثر ابيها هذا في مشاعرها الاولى إبان الطفولة كان من القوة بحيث القى ظله على حياتها كلها (ص ١) . وكان من الطبيعي وهي تعيش بين اناس شاذين كأبيها وامها ان تصبح هي ايضاً شاذة عجيبة لا محالة (ص ٣٧) هذا كله طبيعي وواضح وسهل . ولكن الذي يستحق الدراسة العميقة واهتمام عالم النفس ما هو هذا ، وانما هو نوع الصلات بين الاب والام اولاً، ثم نوع الصلات بين نينوتشكا وامها ونينوتشكا وأبيها ، وحظها من الانجذاب الى احدهما دون الآخر . ذلك ان حياة الطفل النفسية كلها يقررها هذا الوضع الثلاثي أو المثلثي

كما يدعوه « فرويد » Situation Triangulaire . فانجذاب الطفلة نحو ابيها من دون امها او دفاعها عن امها ضد ابيها ، او العكس ، امور لها اعظم الشأن في تقرير مصيرها النفسي .

وبالفعل ، نجد دوستويفسكي يبين لنا كيف كانت هذه الفتاة في طفولتها تحب اباها حباً جنونياً جعلها تكره امها ، وإن كانت تشفق عليها وترثي لحالها . لقد شعرت نحو ابيها ، منذ اللحظة الاولى « بحب ليس له حدود ، حب غريب ليس من الطفولة في شيء » (ص ٣٤) وكانت عاطفتها نحوه تكاد تشتمل على شيء مما تشعر به الام نحو ابنها من حب وقلق . ولقد تحزّبت « لهذا الانسان نصف المجنون » لأنه كان في نظرها « انساناً بائساً مضطهداً » ولأنه خاطب خيالها منذ البداية (ص ٥٥) . لقد منّاها يوماً بحياة رائعة مترفة يحياها معها عندما تموت امها فتنبجس عبقريته الحبيسة التي تقضي عليها هذه الأم في زعمه . فاستقرت هذه الامنية في نفسها وداعبتها ، حتى كانت تتمنى موت امها . اننا لنكاد نتخيل السعادة التي تغمر عيني «فرويد» عند قراءته مثل هذه التصريحات تدلي بها نيتوتشكا ، ومثل هذه الرغبة لديها في ان تموت امها لتحيا مع ابيها سعيدة . انه واجد في ذلك دون شك تأييداً لأفكاره حول (عقدة أوديب) ، وأي تأييد ! وكان يقوّي هذه العقدة في نفس نيتوتشكا الخصام القائم بين ابيها وامها ، والحوادث المؤلمة التي مرت بها حين كان ابوها يحاول ان يختلس منها المال الذي تعطيها اياه امها لتبتاع منه بعض حاجات البيت . وأهم ما في الامر ان هذا التحيز الى جانب ابيها ، الذي بلغ حد العشق على حد تصريحها هي (ص ٥٤) ، كان لا يخلو من قلق وألم يراودان نفس الفتاة الصغيرة . إذ كانت تشعر ببؤس امها وتشاركها آلامها ، غير انها كانت مع ذلك ، استجابة للأخيلة التي أيقظها لديها ابوها ، واستجابة لمركب أوديب الطبيعي الذي قوّته الظروف الخاصة التي عاشتها ، تكره امها بل تتمنى موتها كما ذكرنا . وهذا القلق ، أو هذه العاطفة المزدوجة ، ذات الاتجاه الثنائي ، نحو امها ، كان لها اكبر الأثر في إثارة الاضطراب في نفس الفتاة الى الابد ، وفي جعلها مشدودة بين تيارات متنازعة يريد كل منها ان يشدها الى جانبه . بل ان هذه العاطفة الثنائية هي سبب ذلك الموقف الذي وقفته من زوج ابنة الاميرة وذلك الكره الذي خصته به . فذلك السلوك لا يمكن ان يفسّر الا بانها بعد ان اصبحت فتاة مراهقة اعتراها «شعور بالاجرام» sentiment de culpabilité تجاه امها وعذبتها نفسها تعذيباً لاشعورياً على تقصيرها نحو هذه الام وتحزبها ضدها ، فأرادت ان تكفّر عن ذلك (لا شعورياً طبعاً) عن طريق التحزب للاميرة ضد زوجها ، كأنها تنتقم بذلك من تحزبها الماضي لابيها ضد امها . ولكن هذه المشاعر اللاشعورية لا تكون عادة بسيطة الى هذا الحد ، بل تشتمل على مشاعر معاكسة . فمحبة الأب لا يمكن ان يقضي عليها الشعور بالاجرام تجاه الأم ، وتظل تعمل كقوة منازعة معاكسة . ومن هنا ينشأ القلق وينشأ الاضطراب ، وينشأ ذلك الترجح وذلك التردد في السلوك الذي نجده واضحاً لدى نيتوتشكا ، ولا سيما في صلاتها بالاميرة وزوجها .

ومثل هذا التردد وهذه الثنائية في الشعور والعاطفة ، نلفي آثارهما في صلاتها مع تربها ، ابنة الامير الصغيرة « كاتيا » . لقد احبت هذه الفتاة حباً جنونياً ، وهما بعد فتاتان على ابواب المراهقة . ولا شك ان هذا الحب ، بل هذا العشق الذي يأخذ لديها شكل نزعة واضحة الى الجنسية المثلية Homosexualité ، طبيعي في تلك السن ، وهو من صفات طور البلوغ وما قبل البلوغ [1] . ولكن من شأن الظروف ان تقوّيه او تخمده . اما الظروف التي عاشتها نيتوتشكا في طفولتها فقد قوّته دون شك . وهكذا أحبت « كاتيا » حباً غرامياً ، لم تبادلها إياه « كاتيا » في بداية الامر ، بل أظهرت لها على العكس نفوراً وكراهية ، ولكنها لم تحفل بهذه الكراهية وظلت في حبها الصامت وحبها المريض الأسيان . لقد كان اتحادها بنفسية ابيها (Identification) سبباً قوياً في عنف هذا الحب . لقد أرادت ان تلعب مع هذه الفتاة الدور الذي لعبه ابوها معها . ولكن طبيعتها الرقيقة ، طبيعتها التي لا تشتمل على عنصر الاسترجال ، جعلت من حبها هذا حباً نسائياً صامتاً منفعلاً غير فعّال ، ولم تجعل منه ، كما كان منتظراً ، حباً عليه طابع حب الرجال ، نتيجة لاتحادها بأبيها ، ثم ان امها كانت قاسية في معاملتها لها ، ولهذا فهي تريد ان تقسو على نفسها في سبيل (كاتيا) انتقاماً ورد فعل . ولا ندع الحديث عن شخصية نيتوتشكا دون ان نذكر ان دوستويفسكي لا ينسى ان يصف لديها التغيرات النفسية التي تنتج

---

(١) يحسن الرجوع في هذا خاصة الى كتاب « دوتش H. Deutsch » نفسية المرأة La Psychologie de la Femme (الترجمة الفرنسية ، نشر دور النشر الجامعية ، الجزء الاول) .

عن تقدمها في السن ، مفصحاً بذلك عن خصائص كل عمر وعن الصفات التي تختص بها مراحل العمر المختلفة . هكذا نجده مثلاً يصف لنا وصفاً رائعاً ذلك النهم لديها الى قراءة الكتب، عندما بلغت السادسة عشرة من عمرهـا ، وهو نهم من خصائص سن المراهقة ومن صفاته المميزة . كذلك يصف لنا اعجابها في تلك السن بالطهر والصفاء وتقديسها نفس (الكسندرين) بنتيجة ذلك.

والشخصية الثالثة التي تستحق الاهتمام في هذه الرواية هي شخصية الفتاة (كاتيا)، حبيبة نيتوتشكا. ومن اعمق الصفحات في الكتاب تلك الصفحات التي يتحدث فيها دوستويفسكي عن نفس هـذه الفتاة اولاً ، فيقدم لنا وصفاً رائعاً يذكرنا بأبحاث علم الطباع الحديث (Caractérologie) ، ويتحدث فيها ثانياً عن حبها لنيتوتشكا حباً عنيفاً بعد فترة كره عنيف . وهو هنـا خاصه يكشف عن براعة في التحليل النفسي تثير الدهشة . إنه يصف لنا انقلاب (كاتيا) المفاجىء وتصريحها لنيتوتشكا بحبها لها منذ البداية ، رغم تظاهرها ببغضها . يصف لنا عناق الفتاتين وقبلاتهما بعـد ان صرحت (كاتيا) بالحب ، ويصف لنا نزعة (كاتيا) الى تعذيب حبيبتها ، تلك النزعة السادية (Sadisme) التي نجد قسطاً منها لدى كل محب . انـه يبين لنا على لسان (كاتيا) كيف ان تمنعها الاول على نيتوتشكا كان نتيجة رغبة منها في ان تعذبها قليـلاً ، حين شعرت بأنها لا تستطيع ان تعيش بدونها. ويبيّن لنا أجمل بيان واقواه كيف يتحد البغض بالحب غالباً او يرتدي الحب شكل البغض ، وكيف يشتمل الحب على حظ كبير من الساديّة والعداء للمحبوب . ويتجلى هذا واضحـاً في تصريح (كاتيا) لنيتوتشكا عن شعورها السابق نحوها ، بعد ان اعلنت لها حبها : (وكنت اقـول لنفسي : سأخنقها بالقبل ، وسأظل اعضها واقرصها حتى افجر الدم من جسمها ، وسيسرها ذلك ، هذه الحمقاء الصغيرة) (ص ١٣٦) . ويتجلى هذا ايضاً في تصريحها الآخر حين تقول لها : (لقد احببتك حبـاً قوياً ، ولكن فجأة رأيتني اكرهك ، اكرهك كرهاً ، هل تسمعين ؟) (ص ١٣٣) .

★

وبعد فان في الرواية شخصيات اخرى وجوانب اخرى تستحق العناية والتحليل ، ولا سيما ابنة الامـير الكبرى وزوجها . غير ان المجال لا يتسع لأكثر من هذا . وحسبنا ان ندعو القاريء عن طريق هـذا التحليل الى قراءة الرواية بأسرها ، والى التزوّد من هذه الخطرات النفسية التي تثور في ثناياها .

ولا نود ان نختم هذه الكلمة دون ان نشكر المترجم الاستاذ سامي الدروبي على الخدمة التي اداها للمكتبة العربية عامة، ولمكتبة علم النفس خاصة ، حين اقدم على اختيار هذه الرواية. ولا بد لنا الى جانب ذلك ان نطري الترجمة القيمة التي قدّمها، ففيها من الامانة للاصل والصدق في نقل عاطفة الكتاب وحركته النفسية مما لا يُيسَّر إلا لمعرّب ملك ناصية اللغتين وملك الى جانب ذلك ثقافة نفسية غنية . وجديرٌ بدوستويفسكي دون شك ان يضطلع بترجمته من شدا هذا الحظ من البراعة في الترجمـة والمتانة في الثقافة . ولعل خير ما نفيده من هذه الترجمة ان يتبـدد ذلك الوهم الذي قد يراود بعض الناس حين يخيل اليهم ان ترجمة مثل هذه الروايات ميسَّر لكل انسان ، لانها روايات !

دمشق — **عبد الله عبد الدائم**

سياسة وفلسفة وتاريخ واجتماع

ق.ل		
٤٠٠	الوعي القومي	الدكتور قسطنطين زريق
٢٠٠	العراق بين انقلابين	عبد الفتاح اليافي
١٢٥	معالم الوعي القومي	رئيف خوري
٤٠٠	الفكر العربي الحديث	رئيف خوري
٧٥	تلك آثارنا	جان رونسان
١٢٥	البرلمان الامثل	رشدي معلوف
٣٠٠	معارك العرب في الشرق والغرب،	بطرس البستاني
٣٠٠	معارك العرب في الاندلس	بطرس البستاني
	معارك العرب في الشرق (تحت الطبع)	بطرس البستاني
١٠٠	الاشتراكية العملية	ابراهيم حداد
٧٥	لبنان في العالم	جورج معنّق
١٠٠	قصر الحير الغربي	دانيال شلومبرجه
٢٠٠	علي باشا جنبلاط	الخوري بولس قرألي
٣٠٠	الجيش الفرنسي (١١٠ صور)	لويس الحاج

الاسلام في العالم :

٢٢٥	المسلمون في المتوسط الشرقي	
١٦٥	المسلمون في آسيا	
	المسلمون في المتوسط الغربي وافريقيا (تحت الطبع)	

من **منشورات دار المكشوف** ، بيروت